المباحث الأساسية للتفكير الفلسفي

من المتفق عليه أن الفلسفة ليس لها موضوعًا محددًا يمكن حصره في نطاق معين ، كما هو الحال بالنسبة للعلوم ، بل لها مجالات عامة واسعة مثل الوجود والمعرفة والقيم .

الوجـــود : إن العلوم بصفة عامة تدرس الوجود من جوانبه المادية والشكلية والحيوية : فالفـيزياء تبحث في الوجـود باعتباره ظواهـر مادية ، والرياضيات تبـحث في شكل الوجود (الكم المتصل والمنفصل) ، والبيولوجيا تبحث في الوجود من حيث هو ظواهر حية ... الخ .

أما الفلسفة فهي تدرس الوجود في نطاقه العام ، وتعتبره كلا موحدًا لا يمكن تفكيكه أو تجزئته إلى مناطق علمية ، وبالتالي تدرس عالم الطبيعة أو الوجود الحي ، كما تدرس عالم ما بعد الطبيعة أو الوجود المعقول . وهو عالم الغيب .

وإذا كان العلماء يبحثون في ظواهر الكون فإن الفلاسفة يبحثون في طبيعة الكون ويتساءلون : هل وجد من شيء أو من لا شيء ؟

هل هو قديم أم حديث ؟ هل هو روح أم مادة ؟ هل وجد صدفة أو بقدرة قادر ؟ من هو ؟ ما صفاته ؟

إذن نظرة الفلسفة للوجود أشمل وأوسع من نظرة العلوم كلها له .

المعرفـــة : إن موضوع المعرفة يختلف اختلافا أساسيا عن موضوع الوجود لأنه لا يتعلق إلا بالإنسان من حيث هو كائن يملك القدرة علىّ معرفة الأشياء وإدراك حقائقها .

وعلى هذا الأساس اهتمت الفلسفة منذ قديم الزمان بالمعرفة على اعتبار أنها خاصية إنسانية ، وتناولتها من نواحي مختلفة : إمكانها ، مصدرها ، طبيعتها ، فالتساؤل الذي يقتضيه إمكان المعرفة هو :

هل المعرفة ممكنة ؟ وهل يستطيع الإنسان أن يدرك الحقيقة ؟

والتساؤل الذي يقتضيه مصدر المعرفة فهو :

هل المعرفة مصدرها الحواس أم العقل ؟

أما السؤال الذي تقتضيه طبيعة المعرفة فهو :

هل الأشياء المدركة مستقلة عن الذات أم أن وجودها متوقف على الذهن الذي يدركها ؟

من هذه التساؤلات يظهر أن الفلسفة تنظر للمعرفة نظرة شاملة وعميقة .

القيـــــم : القيمة في قاموس اللغة مرادفة للثمن : قيمة الشيء ثمنه .

والقيمة في الاصطلاح ، تعني من الناحية الذاتية : الصفة التي تجعل الشيء مطلوبا أو مرغوبا فيه . وهي من الناحية الموضوعية : تدل على ما يتميز به الشيء من صفات تجعله مستحقا للتقدير .

فإذا كان الشيء في حد ذاته يستحق تقديراً كبيراً ، مثل الحق والخير والجمال ، كانت قيمته مطلقة .

هذا ، وتعد القيم المطلقة الثلاثة : الحق ، الخير ، الجمال ، من أهم الموضوعات التي اهتمت بها الفلسفة منذ فجر تاريخها إلى يومنا هذا .

فهي إذن مباحث فلسفية أو غايات لعلوم مشهورة :

فبواسطة علم المنطق نميز بين الحق والباطل ، وندرك أسباب الخطأ في التفكير ، ونحدد شروط التفكير الصحيح .

وبواسطة علم الأخلاق نميز بين الخير والشر ، ونكتشف أسباب الشقاء ونرسم طريق السعادة .

وبواسطة علم الجمال نميز بين ما هو جميل وما هو قبيح ، ونتعرف على شروط الجمال ووظيفته في حياتنا .

إذن العلوم الثلاثة تختلف عن العلوم الأخرى المادية والإنسانية ، فإذا كانت هذه العلوم تدرس الأشياء كما هي في الواقع وتحكم عليها كما هي في الواقع ، فإن العلوم الثلاثة : علم المنطق وعلم الأخلاق وعلم الجمال ، لا تدرسها كما هي في الواقع بل تدرسها كما يجب أن تكون في المستقبل ، لأنها تريد أن تحدد الصورة المثالية التي ينبغي أن يكون عليها الفكر والأخلاق والجمال ، فهي إذن علوم معيارية وليست وضعية .

هذا ، وعلى أساس ما تقدم نستنتج أن موضوع الفلسفة أعم وأشمل بكثير من موضوع العلوم ، ولكن ما هو منهجها ؟ وبما يتميز ؟